رؤية الفلاسفة الماديين لنشأة الدين :

قبل الدخول في هذا الموضوع، لا بد ان نبين ما هي الفلسفة المادية :

الفلسفة المادية : هي نوع من الفلسفة الاحادية تبتنى على أن المادة هي المكون الاساسي للطبيعة، وان كل الاشياء، بما فيها الجوانب العقلانية كالوعي، هي نتاج لتفاعلات مادية.

ويعرفها البعض : بأنها نظرة ميتافيزيقة ترى ان هناك محتوى أو مادة واحدة في الكون الا وهي المادة [1] .

وترى الفلسفة المادية ان الروح غير موجودة، وان الخوارق والظواهر الخارقة والظواهر الغامضة هي أما اوهام أو امور تعزى للظواهر الطبيعية .

أما نظرتهم لمنشأة الدين فقد :

أراد الفلاسفة الماديين أن ينظر الإنسان إلى المادة على أنها المصدر الأول والعلة الأولى التي فطرته، وأنها التي تحبوه بأسباب الحياة التي ينعم بها فوق هذه الأرض. ناهيك بأن إليها مرده ومعاده. بل تخطوا تلك الحدود زاعمين بأن الإنسان ليس سوى جسم ذو تركيب آليٍّ، لكل عضو منه وظيفة خاصة، وكذلك فيه جهاز خاص للفكر. أي إن الفكر الخفي، ذلك العالم المجهول الذي يحمله الإنسان بين جوانحه غير شاعر به، له في عالم الفسيولوجيا — وظائف الأعضاء — مرد يرجع إليه. قالوا بذلك جزافًا وإسرافًا، وهم إلى الآن لم يدركوا للفكر كنهًا، ولم يعرفوا للحياة مصدرًا طبيعيًّا يردونها إليه. وقال الذين عندهم علم من الكتاب والحكمة: إن الإنسان إن شعر في هذه الحياة بالنقص، من حيث هو كائن ذو بدء وانتهاء، فإن الإحساس

---

[1] والمادة تنقسم الى اربعة عناصر : (ماء، هواء، نار، تراب).

بالنقص في النفس البشرية، لم يأت إلا شعورًا أو اقتناعًا بوجود شيء كامل، الإنسان ذات ناقصة بالنسبة إليه. وذلك ما يريد اليوم بعض الفلاسفة أن يتخذوه برهانًا على أن هنالك وراء هذا العالم المنظور، عالم خفي، الفكر الإنساني أحد مظاهره.

تلك الفلسفة التي روجها مفكرون من زعماء القرن الثامن عشر، لم تلبث أن تذيع حتى وقعت في مشكل عظيم لم تجد حتى اليوم لها مخرجًا من ظلماته.

نظر الفلاسفة والعلماء في الطبيعة فوقعوا على نواميس لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، نواميس تضبط حركات الأجرام في أفلاكها، وسنن تحوط العالم المادي بدقتها ونظامها. وقوانين تتحكم في العالم مستبدة بأمره.

والخلاصة ان الفلاسفة الماديين جعلوا من الطبيعة منشأ الدين، وان على الإنسان ان ينصب نفسه (الهاً) بها ومن خلالها وعليها، فهو جعل الانسان يقدّس ويؤله الطبيعة بتأملاته الخيالية والميتافيزيقية المحدودة عقليا، وأن يعتبر (الانسان) دون وعي منه، الطبيعة بكل ما تمتلكه من هيئات وتنوعات جغرافية وبيئية وتضاريس وانهار وجبال وحيوانات ما هي الا (الاله) الذي يحتاجه روحيا وماديا ايضا في تعليل اسباب وجوده او المساعدة في ايجاد حلول لجميع المشكلات التي تعترضه والظواهر والموجودات الاخرى التي تجاوره وتحيط به.

وخلاصة ذلك : فإن الماديون ينكرون وجود الله، وينكرون ان منشأ الدين هو الله.

وبالتالي فهم يجعلون منشأ الدين هو الطبيعة .

ومن ابرز الفلاسفة الماديون الذين ذهبوا الى ذلك الفيلسوف فويرباخ [٢]، إذ عمد فويرباخ ان يجعل من الطبيعة منشأ الدين وينصّب الانسان (الها) بها ومن خلالها وعليها، فهو جعل الانسان يقدّس ويؤله الطبيعة بتأملاته الخيالية والميتافيزيقية المحدودة عقليا، وأن يعتبر (الانسان) دون وعي منه، الطبيعة بكل ما تمتلكه من هيئات وتنوعات جغرافية وبيئية وتضاريس وانهار وجبال وحيوانات ما هي الا (الاله) الذي يحتاجه روحيا وماديا ايضا في تعليل اسباب وجوده او المساعدة في ايجاد حلول لجميع المشكلات التي تعترضه والظواهر والموجودات الاخرى التي تجاوره وتحيط به.

كما اعتبر ان الدين والطبيعة، ويعتبر الانسان الديني هنا، انما يتعامل مع الطبيعة – الدين من خلال ذاته، كذات عقلانية مدركة للطبيعة والمحيط وتعي اغترابها عنهما معا (اغتراب ذاتي واغتراب عن الطبيعة). وبالتالي فان (اله) الانسان لا يعكس سوى حالته فقط، ذاتيته، وجوهره المتفرد الخاص به وحده دون غيره من الكائنات.

كما يرى فويرباخ أن جوهر الدين هو جوهر الانسان، وماهية الدين هي ماهية الانسان نفسه، وبهذا المعنى فان فويرباخ بحسب الاستاذ الباحث جاد الكريم الجباعي (لا يؤسس للالحاد، بل يؤسس الدين برده الى اصله (الانسان) وعلة وسبب نشوء الدين هو اغتراب الانسان الذاتي وعن الطبيعة معا) .

---

[٢] فويرباخ كما معلوم أبرز فيلسوف أنشق مع آخرين من تلامذة هيجل واطلقوا على أنفسهم الشبان اليساريين الهيجليين، منهم ماركس وانجلز وشتيرنر، هم انجاز فلسفي تركه فويرباخ هو كتابيه (اصل الدين) و(جوهر المسيحية) في محاولته تثبيت نزعته الالحادية وشرح فلسفته في منشأ الدين.

وبالتالي فهو يعرف الدين : بأنه نقل الإنسان آماله وأمانيه الى كائن ذي درجة عليا سماه الله ولذا رأس أنه عقبة في سبيل تقدم الإنسان مادياً، ومعنوياً واجتماعياً، ولهذا ينبغي على الإنسان ان يتحرر من سلطانه، والى قريب من هذا يذهب كارل ماركس، فيرى ان الدين تأوه كائن اضناه البؤس، وهو فؤاد عالم لا فؤاد له، وروح عصرٍ لا روح له، انه افيون الشعوب.

أما اميل دور كايم فيرى ان الدين مؤسسة اجتماعية قوامها التفريق بين المقدس وغير المقدس، ولها جانبان احدهما روحي مؤلف من العقائد والمشاعر الوجدانية والآخر مادي مؤلف من الطقوس والعادات .

في حين يعرفه سالمون رينالك : الدين مجموعة التورعات التي تقف حاجزاً أمام الحرية المطلقة لتصرفاتنا، او هو مجموعة من الوساوس والشكوك التي تعيق ممارسة الاعمال بحرية .

وبالتالي فإن كل من دور كايم ورينالك وفورباخ وماركس، يشتركون في استبعادهم لوجود الإله بحجة أن في الشرق أدياناً، مثل البوذية والجينية، والكونفوشيوسية، تقوم على اساس اخلاقي بحت، خالٍ من تأليه كائن ما، وان الذين يؤلهون بوذا وجينا انما هم مبتدعة، خارجون عن اصول دينهم الحقيقي القديم.